الغرق

بقلم: إيمان السنباطي - مصر

لا أعلم كم من السويعات قضيتها معلقا في ذلك اللوح الخشبي... فقد بدا أني من شدة الرعب لم أشعر بتسمر يديّ وهما ممسكتان باللوح الخشبي وتصلب عضلات جسدي من شدة البرودة... أستمع إلى استغاثات من حولي ومناجاتهم لله آملين في النجاة!!

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.. شنفت أذني بأصوات تنطق بالشهادة ثم تختفي وسط عتمة الظلام، أستمع إلى صراخ لمخلوقات بدت أسطورية من شدة الألم! عرفت فيما بعد أسباب ذلك الصراخ المدوي.. فقد كانوا يتمزقون إربا إربا..

فمع خيوط تباشير الصباح وجدتني أعوم وسط برك من الدماء.. تبرز ثم تختفي طبقا للظروف... اكتشفت زعنفات لوحوش بحرية.. يا للهول!.. إنها أسراب أسماك القرش تمزق ضحاياها.. وقد بدت لكثرة الضحايا ووفرة الغذاء تقضم بضع قضمات.. تلتهم فيها أجزاء كاملة للأجساد الطافية، ثم تترك البقايا لتنتقل لفريسة أخرى..

هكذا صارت الأمور..أنا أتعلق بلوح خشبي طاف.. تتقاذفنا الأمواج وتقذف ضمن ما تقذف ذراعا، أو قدما، أو رأسا ارتسم على ملامحه علامات للألم الرهيب!!

لا أعلم كم مضى من الزمن وأنا معلق هكذا بين الحياة والموت! إن لم يكن من شدة البرودة فمن الهجمات الشرسة لأسماك القرش، وربما الدوار الشديد من شدة الإجهاد، ربما أعجز عن الإمساك باللوح فتبتلعني الأعماق، ولكنها العزيمة.. لا أعلم من أين أتت تلك العزيمة!؟ لم أوصف أبدا أني ذا عزيمة من قبل.. بالتعبير الأدق إنني كنت دائما كسولا، واهن العزيمة، أتساهل مع أي شيء يقابلني.. بتبلد شديد كنت أتقبل ضربات المعلم الشرسة الهاوية على جسدي